الصناعات الريفية كعلاج لمشكلات الريف المصرى

للمهندس الزراعى محمد على كساب

كبير الإخصائيين المساعد بمصلحة البساتين

مقدمة :

لا جدال فى أن الريف المصرى فى حاجة ماسة إلى الإصلاح العاجل الشامل لكافة نواحيه . وقد ارتفعت الشكوى فى جميع نواحى البلاد من سوء حال القرية المصرية وما وصل إليه أهاليها من الجهل والفقر والمرض ، وإذا كان قد صح عزم الحكومة على إنقاذ الريف المصرى وأهله من الحضيض الرازح فيه ، ورسمت لمكافحة هذه الأعداء سياسة معينة أسمتها مشروع السنوات الخمس لمحاربتها ، ورصدت لهذا المشروع المبالغ الضخمة من المال موزعة على سنوات خمس بادئة بتنفيذ الأهم منها فالمهم ففى اعتقادنا أن خير علاج لإصلاح حال ريفنا المصرى هو تحسين الصناعات الريفية الموجودة فى قرى الريف وتهذيبها بحيث تفى بحاجته وأهله من المأكل والملبس والمشرب ، وإدخال الصناعات الريفية غير الموجودة فى بعض القرى وتعميمها فى كافة القرى حتى لا تخلو قرية من مصدر غذاء وكساء ساكنيها دون الالتجاء إلى جلب أقواتهم وكسائهم من المدن أو من الخارج ودون أن يدفعوا فى سبيل الحصول عليها ما لا قبل لهم على دفعه .

فالمفروض فى الصناعات الريفية أن يقوم بها أهل الريف أنفسهم فى أوقات فراغهم ، وأن يستهلكوا فيها فائض محصولاتهم الحيوانية أو النباتية أو بعض فضلات المحاصيل التى كانوا لا ينتفعون بها فى الماضى .

الفقر فى الريف أساس البلاء فيه :

إذا ألقينا نظرة على حال الريف المصري وجدنا أن أساس البلاء فيه الفقر المتسبب عن عدم امتلاك السواد الأعظم من السكان أرضاً زراعية تكفى غلتها للقيام

بأعباء معيشتهم ، بل إن الكثرة بينهم عمال زراعيون مأجورون أو متعطلون عن العمل ، بل إن مايمتلك منهم أرضاً زراعية أو يشتغل بالأجر يضيع ثلاثة أرباع السنة دون عمل فيصبح فريسة للكسل أوالجلوس على القهاوى أو التردد على أماكن تعاطى المخدرات والإدمان عليها .

ولا جدال فى أن فقر سكان الريف مضافاً إليه إدمان الكثير منهم على شرب الشاى وتعاطى المخدرات يعتبر العامل الأول والأساسى فى انحطاط مستواهم المادى والخلقى والصحى .

محاربة الفقر فى الريف عن طريق إدخال الصناعات الريفية فيه :

لو عملنا جاهدين على إدخال الصناعات الريفية البسيطة فى بلاد الريف المصرى لقضينا على العوامل الهدامة التى تهدم حياة سكانه ، وكفلنا لهم موردا للرزق بجانب عملهم الزراعى الأصلى يصرفون فيه أكثر أوقات فراغهم من العمليات الحقلية فلا يجدون أمامهم من الوقت مايضيعونه فى القهاوى أو مباءات المخدرات .

ولا شك أن هذا المورد الجديد من الرزق سيرفع من شأنهم من الناحية المادية وما دامت قد تحسنت حالتهم من الناحية المادية فقد سهل تحسينها من الناحيتين الخلقية والصحية .

مجهود الحكومة واجب :

إن أكثر وزارات الحكومة المصرية تشترك فى أعباء محاربة الفقر والجهل والمرض فى بلاد الريف ، فوزارات الزراعة ، والتجارة والصناعة ، والشئون الاجتماعية تقوم مهمتها على نشر الصناعات الريفية البسيطة وتهذيبها وتعميمها ، ووزارة الصحة العمومية تنحصر مهمتها فى محاربة المرض واجتثاث أصوله والقضاء على أسبابه ، ووزارة التربية والتعليم تقوم بعبء نشر التعليم وأصول التربية البدنية والدينية والثقافية العامة .

ومن العسير إن لم يكن من المستحيل فصل مهام هذه الوزارات بعضها عن بعض

بعضها بمعزل عن الأخرى ، ذلك لأن المهمة واحدة ووسائل علاجها تكاد تكون واحدة ، ومن الأجدى إنشاء إدارة خاصة تضم جميع الهيئات المتشابهة فى الوزارات المختلفة التى يرتبط عملها بهذه المهام وتوحيد هذه الجهود لنجنى ثمار إنتاجها المرجو فى أقل وقت وبأقل التكاليف .

مقارنة بين مستوى المعيشة فى البلاد الزراعية والبلاد الصناعية :

إن من الحقائق المعترف بها أن البلاد الزراعية التى تعتمد فى بناء صرح اقتصادها على الزراعة وحدها تعتبر بلاداً فقيرة مهما بلغت من الزراعة شأواً بعيداً إذا قيست بالبلاد الصناعية التى تقوم سياستها الاقتصادية على الإنتاج الصناعى ، ومرجع هذا الاختلاف فى مستوى المعيشة إلى عدم تحكم البلاد الزراعية فى وسائل إنتاجها التى تكون عادة خاضعة لظروف خارجة عن طاقتها كالتقلبات الجوية التى تؤثر فى المحصولات الزراعية والتى قد تسبب هلاكها كالإصابة بالآفات الزراعية الحشرية والفطرية التى تعمل على إضعاف غلة الأرض ، ومثل نفاد الأسمدة والمواد المخصبة كما حدث فى مصر فى غضون الحرب الأخيرة حين امتنع ورود الأسمدة الكيماوية من الخارج ، وكان لذلك أثر سيء فى إضعاف غلة الأرض ، فى حين أن الصناعة فى البلاد الصناعية تقوم على أسس ثابتة فلا تكون عرضة للتقلبات التى تتعرض لها البلاد الزراعية .

وإذا رجعنا بالذاكرة إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى وجدنا أن مستوى أكثر البلاد الزراعية البحتة كان قد انخفض لدرجة جعلت من المستحيل عليها الاعتماد على نفسها دون مساعدة البلاد الأخرى مما حدا بها إلى التحول التدريجى نحو النظام الزراعى الصناعى ، وقد بلغ بعضها فى مدى عشرين عاماً من التقدم الصناعى ما جعلها فى مصاف البلاد الصناعية ، وبالتالى ارتفع مستواها المعيشى والثقافى والصحى . ومن أمثلة هذه البلاد روسيا وكندا وجنوب أفريقيا والهند ومصر .

الصناعات الريفية الهامة :

لقد أفادت مصر من الحرب الأخيرة ـ شأنها فى ذلك شأن كثير من البلاد الزراعية ـ

الكثير من الصناعات الكبيرة والصغيرة ، ولما كان مجال الكلام هنا هو عن الصناعات الريفية الصغيرة فإنى لن أتعرض للصناعات الأخرى ، فقد كان نصيب مصر من الصناعات الريفية : صناعة السجاد ، وصناعة غزل القطن والصوف والكتان ونسجها ، وصناعة خوص الطرابيش وبعض الصناعات الغذائية البسيطة وبعض منتجاتها العرضية .

ولئن كان انتشار هذه الصناعات فى حيز محدود ضيق إلا أنه اتسع فى بعض القرى حتى جعلها تحمل طابعاً صناعياً ريفياً خاصا بها ، وأصبحت منتجات تلك القرى تسمى باسمها كقماش كوم النور ، وسجاد أخميم ، والكراسى الخشبية الأسيوطى ، ومكانس وفرش ودواسات أبى النمرس وغيرها .

ماذا أفادت القرى من الصناعات الريفية :

لقد أتيح لزائرى تلك القرى الشهيرة بالصناعات الريفية أن يلمس عن قرب تأثر مستوى المعيشة فيها رغم أن تحولها الصناعى يعتبر بسيطاً وفى بدايته ، وبمقارنة دخل الشخص فى بعض تلك القرى بعد إدخال الصناعات الريفية فيها بدخل شخص مماثل له فى قرية زراعية بحتة يتضح أن دخل الشخص الأول يتراوح بين ٣٠ و ٤٠ قرشاً يومياً ، فى حين أن دخل الشخص الثانى لا يتعدى السبعة قروش يومياً ، وهذه الصناعات الريفية رغم قلتها وعدم جودة متنوعاتها فى الوقت الحاضر لحداثتها وعدم تهذيبها بالقدر المناسب قد ساهمت مساهمة فعالة فى تموين الاستهلاك الريفى ببعض المنتجات الضرورية التى امتنع ورودها من الخارج طول فترة الحرب .